على طريق تأصيل الشعر الجاهلي من خلال الصورة

د . ابراهيم عبد الله الضحيان

• النبات أولا •

لقد تعددت الدراسات ، وتوالت البحوث ، وكثرت الاجتهادات فى العصر الحديث حول الشعر الجاهلى ـ ماهو صحيح منه وماهو منحول ـ واختلفت نظرياتهم وآراؤهم ، وتباينت وجهات نظرهم حول تحقيق هذا الشعر بين الشك واليقين .

وقد اتخذت فى هذا البحث المتواضع طريقاً وسطاً ، فلم أسلِّم بصحة الشعر الجاهلى وقبوله على إطلاقه ، ولم آخذ بمبدأ الشك طريقاً إلى اليقين . ولكننى ركنت إلى الواقع ، فى محاولة لاستقراء الشعر الجاهلى ، بمساعدة الجزئيات المتاحة من خلال البيئة .

ثم وقع نظرى على كتاب « النبات » للأصمعى . أجمل ذكرها إجمالاً ، وحصرها فى واحد وثلاثمائة نوع . وكذلك كتاب أبى حنيفة الدينـورى فى النبـات أيضـاً ، لكن مسمياتهـا لا تختلف كثيراً عما أورده الأصمعى .

وقد ذكرتُ بعضَ النباتات المعروفة فى نجد اليوم - عند بعض أهل الخبرة والتجربة من كبار السن - وفى حدود معرفتى - وقارنتها بما ذكره الأصمعى . وبما أورده أبو حنيفة الدينورى مما لم يذكره الأصمعى ، وأتبعت ذلك بذكر نماذج من هذه النباتات ، من واقع بعض دواوين الشعر الجاهلى ، كدليل على عراقة التسمية وأصالتها . فجاء البحث على النحو التالى :

١ - مقارنة النباتات فى نجد بكتاب الأصمعى .

٢ - مقارنتها بكتاب أبى حنيفة الدينورى .

٣ - مقارنتها بأصولها القديمة من واقع بعض أشعار الجاهليين أو المخضرمين .

٤ - عرض وجهة النظر المطروحة .

وسأرحب بأية ملاحظة أو إضافة - من القارئ العزيز - حول أسماء النباتات وأوصافها . وكذلك حول وجهة النظر نفسها .

١ - كتاب « النبات » للأصمعى :

أسماء النباتات فى كتاب الأصمعى	أسماء النباتات عند أهل نجد	بعض خصائصها وأوصافها عند أهل نجد
الآء		
الأبا		
الأثل	الأثل	
الأحرد		
الأخريط .	الخَزيط	له طعم كطعم شجر الرمث جذعه أسود يرعاه الغنم والإبل ويسمى « الضمْران »

الاذخر		
الأراك		
الأرطى		وبعضهم يسميه « العبل »
الأرنبه	الارطى	
الأس		
الإسبست		
الإسحاز		شجره شهباء تميل إلى البياض ترعاها الماشيه
الإسحل	لعله « السحز »	
الأسل		
أسليح	الإسل	نبات له زهرة بنفسجيه وشجرته تشبه « النفاري »
الألاء	السليح	لعلـه « ذعلـوق الجمل » يؤخـذ من جذعـه علك
الأمطي		فيسمى « علك المطى »
الإسنامه		يستعمل في تنظيف الملابس
الإشنان	السنان	
الأقحى		معروف ومشهور بزهره الأبيض الناصع البياض
الأقحوان	البحوبان	نبتة غضه زهرتها بيضاء صغيرة
الأيهقان	الهق	
البدر		
البردى	البردى	نبات لا ترعاه الماشيه ويضعه البدو مع الأقط
البروق	البروق	ويسميه الأصمعي « فلفل البر »
البربر		نبات معروف يؤكل
البسباس	البسباس	
البشام		
البطم		
بعوه		لعلها « الأبيد » نبات مجمع عليه مثل
بقله الضب		الزرع يأكله الضب
		شوك « شجرة الكرش » يخرج في الثمره
تنهشى	النهشى	يشبه شوك العصماء

التألب		
الترِبه	التْرِبه	نبتة بحجم اليد يعلق التراب أوراقها دائما
الترعه		
التُغارير		ويسمى العشب إذا كان غضا « غرغير »
التنضب		
التنُّوم	التنُّوم	وهو من نبات الصيف وفى ثمره مادة صبغ زرقاء ترعاه الظباء
التِّين	التين	معروف
التاليل		
الثُّداء		لعلها « الثنداء » تشبه « الثمام » ينبت الفقع دائما فى وسطها .
الثرمان		
الثعارير		
الثعارير		
الثغام	الثغام	يكثر فى الجبال مجتمعة شجرته رءوس عيدانها كشعاع السنبلة
الثغر		
الثمام	الثمام	شجرة خضراء ترتفع بطول متر أو مترين . ترعاها الماشية وبخاصه البقر .
الثيل	الثيل	معروف
الجنجاث	الجنجات	شجر . ويجعلونه على قنو النخله فيحفظها من الجراد لأنه مُرّ ورائحته كريهة
الجذر		
الجرجير	الجرجير	معروف
جزر البر		لعله « الخباز » وكان الناس زمن الجوع يطبخونه مع الطعام ويأكلونه
الجَعْدَهْ	« الجعدة »	ورقه أبيض وناعم وأعواده دقيقة لثمرته رائحة طيبة . يستخدم فى حشو الوسائد
الجليل		

جور الجبل		
الحاج		
الحاذ	الحاذ	شجر له شوك . وتأكله ابل تجتمع أغصانه ولا ترتفع .
الحبق	الحبق	نوع من « النعناع »
حبة الخضراء		لعلها « السّميرا » عند أهل القصيم و « الخضيرا » عند أهل العارض والحبة السوداء عند أهل الحجاز وقد تكون « الكسبر » أو « الكمون » أو « الحلوة » .
الحنبل		
الحدج		لعله « الشرّى » حيث يسمى ثمر الشرى « حدجا »
الحزنب		
الحرساء	الحرشاء	نبتة . وتزرع مع القت كأعلاف . كما أنها نبتة برية وأوراقها خشنة .
الحرشف		
الحرض		
الحرف	الحرف	نبات برى له رائحة كالرشاد
الحزاء	الحزا	شجر برى
الحسار	الحسار	يكون فى أطراف الرياض لا تكبر شجرته ولا تتمدد
الحسك	الحسك	مثل « النفل » وفيها شوك يحمل حبًا .
الحصاد		
الحفأ		
الحفر		
الحلب	الحلب	نبات يتمدد إذا كسر عوده خرج منه سائل أبيض يستخدمه البعض منهم دواء « للحزا »
الحلبلاب		
الحلفا	الحلفا	يكثر نباته حول المياه الراكدة
الحلمة	الحلمة	نبات برى تأكله الابل وهو شائك زهرته بنفسجية بنبت فى الصيف .

الحلى		
الحماط	الحماط	ينبت فى المياه الراكده « الغبول » هو « الحَمْض »
الحُماط		يكثر فى الجبال ويؤكل وهو حامض جدا
الجِمْخ		
الحمصيص	الحمصيص «	من نبات الرياض ويأكله الغنم وهو حامض
الحمض	الحمضْ	وهو ربيع الإبل حيث يفضله على غيره
الحَنا		
الحندقوق	الحندقوق	نبات برى له مثل حب الرشاد يستخدمه بعضهم مع الشاى كعلاج للكبد
الحنزابْ		لعله « الحمباز »
الحنظل		اسم من أسماء النَزّى
الحنوه	الحنوه	من نباتات الربيع المزهره وترعاها الماشيه ورائحته طيبة
الحُوْاء	الحوا.	نبات برّى يضرب لونه إلى الحمره أو السواد . ويؤكل .
الحوذان	الحوذان	نبات مزهر ويسمى زهره « النوار » وطعمه حلو لذا تحبه الماشية
الخبار	الخبار	معروف وكان يؤكل زمن الجوع
الخدرف		
حرذن البر		
الخزمع		
الخروب الشامى		
الخروع	الخروع	ينبت فى البساتين ويأكله الناس والماشيه
الخزامى	الخزامى	نبات مزهر ورائحته طيبه
الخزه		
الخشخاش		
الخطبان		
الخطمى	الخطمى	من نبات البر . يستعمل فى تنظيف الجسم والملابس

الخلاف		
الخمخم		
الدا...		
الدُّعاع	الدعاع	نبات برى له حب يؤكل وقت الجوع
دم الغزال		
الدوه		
الذعالبى	الذعاليق	صيغته الجمع للذعلوق وهو نبتة تؤكل كالبسباس والحوّا والحمبض . وال؟بعيرا .
الدفره		
الذبان	دبناب	أو ذنبان . شجرة لها سنبلة فى أعلاها .
[illegible]		
الربل	الرَّبْلَة	نبتة ناعمة تحبها الماشية . ولها سنبلة فيها حب كحب البرسيم
الربه		
الرب		
الرُّحامى	الرحام	شجرة صيف تتمدّد أعصانها . وورقتها تميل إلى البياض
الرُّغل	الرغل	تأكله الماشية وكان الناس فى زمن الجوع يحشُّونه ويغسلونه ثم يأكلونه
الرهمه	الرُّفه	نبتة تتمدد على الأرض تنبت فى الأرض اللبّنة
رمان النمر		
الرمث	الرِّمث	شجر تأكله المواشى حين يخضر . وتغمض أوراقه على القردان حيث تترعرع داخلها وتنمو .
الرمراء	الرمرام	وهو شجر . ويقال إن الضب إذا لدغ تمرغ على الرمرام فيشتفى ويضعونه على مكان « اللدغة »
الرنف		
الرنه		
الرند		

الريحان		
الزُّبَّاد		لعله « الزبيدى » نوع من الفقع
الزغه		
الزيتون		
الساسم		
السبسنان		
السَّبط	الصَّطْ	نبات برى صيفى . ينفع علفا
السَّخْبَرْ	الصَّخْبَرْ	نبات برى أسفله على هيئه الزرْع وأعواده ملساء شبيهة بالسنابل
السَّدْر	السَّدْر	معروف
السَّرَّاء		
السَّرْح	السَّرْح	شجر ينفع حطباً
السُّطَّاح		
السَّعْدان	السَّعْدان	نبتة ثمرتها شوكة مستديرة
السَّكب		
السَّلع		
السَّلَم	السَّلم	شجر ينبت فى الشعاب له شوك ويصلح حطبا
السَّمُرُ	السَّمْرْ	من أشجار النفود يؤخذ حطباً
السُّمْسق		
السُّنبل		
السَّيَّال		
السُّبرق		لعله « العلواق » وهو نبات يتلوى على جذوع الأشجار
السَّبرم	السَّبرمْ	نبات برى وبلدى له شوك
السَّنهان		
الشب		
الشرْشر	الشرشر	من نبات البر
الشَّرْي	السرى	من شجر الحنظل يتمدد على الأرض له ثمرة بحجم البرتقالة شديدة المرارة

السّرْيان		
السعران		
السّفلحْ	السّملحْ	شجر له شوك . وتتمدد أغصانه على الأرض كالرمث له تمر بحجم الجزر المتوسط يؤكل وهو إذا استوى يتشعق .
سفانى النعمان		ستأتى
السُّفارى	السّعارى	نبتة مستقيمة الأعواد كثيرة الأزهار ذات اللون البنفسجى
السكّاعى		
السّوْحط	لسّوحط	شجرة كبيرة تنبت فى الجنوب .
السُّوع		
السّبح	السّيّح	شجر له رائحة طيبة . وبعض الناس يتداوى بعرق النسيح
الصُاب		
الصّنْغاء		ويسمى الكحَلْ « صبغاء »
الصرُابه		
صعْتر البر		لعله « الزعتر »
القْيلْيان		
الصمعاء	الصُمعاء	نبات له أوراق دقيقه كشعاع السنبلة
الصبِر		
الصُوّاف		
الصُومان		
الصوء		
الضال		
لصمه	الصّعَهْ	وهى شجيرة بريه بحجم اليد . ترعاها الابل والحمر
لضعابس		
لعمْرن	الضمران	من شجر الحمض وهو اسم لـ « الخريط » من أشجار الحمض
لصهب		

الطّاق		لعله « الطُّبْقان » نبتة قوية تشبه ورقته وثمرته شجر الخباز
الطّخا		
الطرانيث	الطرانيث	جمع طرنوث وهو معروف
الطُّرفا	الطُّرفا	شجر يشبه الأثل .
الطَّلح	الطَّلح	شجر كبير الحجم تضرب أغصانه فيسقط ورقها وتسمى « خبط »
الظيّان		
العُبْرىُ	العِبْرىّ	من شجر السدر
العنقر		
العبهر		
العنوبران		لعله « البعبثران » وهو شجر معروف ينبت فى الشعاب .
العُبيران		
العثره		
لعُنّ		
العخرم	لعجرم	من شجر الحمض ويصلح حطباً
لعجْله	العجْله	نبتة بريه تمدد أعوادها على الأرض تشبه النِّيل
لعدار		
لعراجن	لعراجن	الواحد عرجون نبات فطرى شديد البياض
العراد	لعرد	نبات يستعمل فى النظافة كالاشنان وهو علف
العرار	العرار	وشجرته تشبه شجرة العرفج
لعرب		
لعزعر		
لعرفج	لعرفج	شجر برى مزهر تأكله الابل والحمر .
لعساليج		
لعُسر	لعُسر	شجر برى معروف
لعسرْف	لعسرْف	نبات برى يتداوى به
لعصاه		

العِضرِسْ	العِضرِسْ	شجر برى خشن ترعاه الماشية عند الضرورة .
العمار		لعله شجر « العوسج »
العِكْرِس	العِكْرِس	شجر برى شبيه بالنبْل
العِلْجان		
العَلْقى	العَلْقى	وتسمى « تنتن » تشبه الرمرام ولها زهرة بيضاء يخالطها احمرار كزهرة « الرخام » .
العَلَنْدى	العلندى	شجر برى يحتطب عند الحاجة .
عنب الثعلب		
العُنْصُل	العُنصل	معروف وجذوره تشبه جذور البصل وزهرته زرقاء
العَنْظوان		
العَنْعز		
العَنَمْ		
العِهْنه		
العوْسَج	العَوْسج	شجر برى له شوك . وثمرته حمراء صغيره .
العَوْف		
العَيْسوم		
الغاف	الغاف	شجر برى ينفع حطباً
الغرْاء		
الغَرْبْ		
الغَرْف		
الغَرْزْ	الغرز	نبات برى له عروق مجتمعه وفوقها مثل الزرع يعلوه أعواد دقيقة .
الغَرْقد		
الغِرْيف		
الغضا	الغضا	شجر ويستعمل حطباً . يشبه الأثل وهو من شجر الحمض
الغضرْ		
الغضَوَر		
العولان		

القصقصه		
فلفل البر	البَرْوق	
القَنا		
نفوذنج		
القان		
القتادْ	القتاد	شجر ذو أشواك حادة .
القتّ	قتّ الخلا	وتشبه أوراقه أوراق البرسيم وهو « النّفل »
القرّاصْ	القرّاصْ	نبات برى له ثمره تؤكل وينبت فى سفوح الجبال وفى الشعاب والقيعان ويسميه البعض « قرقاص وقُرّيص »
القرملة		
القرنوه		لعلها « القِرْنا » وهى من نبات الصيف تستخدم فى صباغة الجلود والملابس .
القسْور		
القصب		
القصيص		
القضْب		
القضه		
القُطْب	القُطْب	نبات برى وبلدى له شوك كثير . لأنه يتمدد على الأرض
القفعاء	القفعاء	نبتة برية إذا أكلتها الماشية وهى غضة تضرها
القلاّم		
القلْقلان	القلْقلان	نبات برى تسمع له خشخشة حين يهب الريح .
القيصوم	القيصوم	نبات برى ترعاه الماشية عند الضروره
الكباث		
الكبر		
الكتم		
الكحْلا		لعله « الكحل » نبات جذعه أحمر فيه صبغ معروف
الكرّاث	الكرّاث	

الكرْبل		
الكرِص	الكرْص	من نبات الرياض
الكرِعص		
كف الكلب		لعله « يد فاطمة » نبات مجنمع بشكل أصابع اليد
الكفه		لعله مصد « الجفنة »
الكلبه		
الكهبل		
لحيه التيس		
اللصف	اللصف	شجر ينبت فى الجبال له ثمر يؤكل إذا اصفر يشبه الباذنجان الدقيق . وهو قريب من ثمر الشفلْح .
المخاطه		لعلها « الْبَنْبَرَة » شجر قليل له ثمر يؤكل إذا استوى يكون بداخله ما يشبه المخاط يتداوون به لالتحام « الملْع والمزع » .
المْراز		لعله « المرارا » بتخفيف الراء وهى نبتة برية تشبه « الخروع » وهى غير « المُرْيرا » من نبات البساتين
المَرْخ	المَرْخ	شجر يكثر فى الشعاب ويحتطب .
المرد		
المصاص		
المصْع		لعله « المُصَتْبَع » نبات برى قوى .
المظْ		
المكْر	المكْر	من نبات الصيف . له حب أخضر كحب البرسيم
المكنان		
الملاْح		لعله « الملْيح » نبات تجم أوراقه بالماء دائما ولا نفع فيه وهو من نبات الربيع .
الميْس		
النْجمه		
النجيل		
النْدغه		

النْزعة		
السيم		
النَعى	النعْبى	نبات برى يحتشونه وترعاه الماشية .
النُغضار		
النُعض		
النُعا		
النعا		
النَفزْ		
النُفل	النفل	نبات برى مزهر وله رائحة طيبة
النُفد	النَفدْ	شجيرات برية صغيرة زهرها صفراء كبيرة .
النُهق		لعله « اللُهق » يخدع ناظره عن بعد فإذا جاءه وجده نباتاً ضئيلا . وذلك لتموج زهراته البيضاء الصغيرة الكثيرة .
الهرس		
الهراس		لعله « الهريس » شجيرة صغيرة تملأ الأرض بشوكها الحاد المدور وتسمى « ضرس العجوز »
الهَرْدى		
الهِرْدى		
الهرم	الهرم	شجرة تملئ بالماء لا نفع فيها مثل « الملُبح » وإذا كثر فى مكان فإنه يتسبب فى مرض الحمى كما يعتقدون .
هلنى		
الهبسر		
الهسو.		
لوسبج		
لبعضبد		لعله « العضيد » من نبات الجبال
السمه		
باسمين البر		لعله « الجميم » حيث يحشونه . وهو غض فيطبخونه ويستعملونه طبياً .
الينبوت	الينبُوت	من نبات الصيف وترعاه الماشية .

٢ ـ ومن النبات المعروف عند أهل نجد والباقية أسماؤه حتى اليوم ولم يذكره الأصمعي ما نجده في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ومنه :

اسم النبتة في كتاب الدنيوري	اسم النبتة عند أهل نجـد	بعض خصائصها وأوصافها عندهم
الصفا	لعصفار	
لعسار		ولعله « السَّيْرا »
العاقول	العاقول	شجر ورقته صغيرة ترعاه الماشية وفيه شوك وتؤخذ من عروقه مادة الدباغ . ويوجد بجذوعه فتسمى « قربغ »
جميز	حميز	شجر يشبه « الثمام » له رائحة كرائحة الطيب حين يكسـر عوده .
الحنذه	الخنبه	شجيرة تتمدد على الأرض لا ترتفع إلى أعلى
الحبط	الحنظ	شجر يشبه السـدر والطلح تأكله الإبل .
خوبع	خربع	يزرع مع القت . وله ثمرة بحجم البلح ينفلق فيؤخذ منه العصفر ولونه أصفر .
جفنه	جفنه	شجرة بحجم شجرة العضرس .
ادن الحمار	أذن الحمار	شجر ناعم تصغر ورقته كلما ارتفع غصنه .

٣ ـ أسماء بعض النباتات المعروفة عند أهل نجد من خلال بعض الدواوين الجاهلية مرتبة حسب قراءتها :

الديــوان	أسماء النباتات والشجر وصفحاتها
بشر بن أبى حازم	أرطى . أفحوان . جعد . تنوم . نفل . حوذان . طلح . سدر . خزامى . الحلب . قرضى . ٥١ . ٦٣ . ٥٧ . ١٥٤ . ٢٠٨ . ٢٠٨ . ٢٢٧ . ٢ . ٨ . ٨ . ٢٦ .
الأعشى ميمون ابن قيس	طرفا . عضيد . عراره . عفار . شوحط . ثمام . ثغام . ٢٠ . ٦٤ . ٧٥ . ٨٤ . ١٦٧ . ١٩٠ . ١٩٠ .
امرؤ القيس بن حجر الكندى	سمر . حنظل . عنصل . غضى . بهمى . حوّ . غضرس . رمث . ينبوت ٩ . ٩ . ٢٦ . ٢٩ . ٨٠ . ٨٧ . ١٠٣ . ١٠٤ . ٢٧٥ .
زهير بن أبى سلمى	قفعاء . حسك . ٤٩ . ٤٩ .
أوس بن حجر	شرى ٩٤ .
النابغه الذبيانى	.
لبيد بن أبى ربيعه	عشر . عرمض . عرعر . جميم . أيهقان . عرفج . ٥٥ . ١٤٣ . ٨٤ . ١٥٤ . ١٦٤ . ١٧٠ .

	«السفا : شوك البهمى ص ١٦٩» قلت : والسفا كما يعرف شعاع السنبلة . وهناك نبات نسميه «سفيفان» لبس شوكا . «البراعه : القصب ص ١٥٥» قلت : وهناك نبتة نسميها «أبراعى» مشتقة من نبتة «الثَغارى» إلا أن عيدانها أدق وأكثر استقامه شبهاء
عبيد بن الأبرص	الرخامى . السرح . الحمض . . ١٠٦ . ٤٧ . ٥٨
المثقب العبدى	الثغارى . . ٦٥
الشماخ بن ضرار	عوسج . مرخ . عكرش . الوديّات «صغار النخل» . عبرى . بسباس . بردى . . ٣٧٢ . ٢٨٠ . ٣٧٣ . ٣٧٢ . ١٣١ . ٨٢ . ٧٤
عمرو بن قميئه	الغاف ٤٨
علقمه الفحل	الحظمى ٥٤
حسان بن ثابت	السخبر ٢٦٢
شعراء بنى تميم	الربل . النص «النصى» . . ٢٢١ . ٤٤٦

وبعد : فهذا عرض مقتضب ودراسة مقارنة موجزة لمسميات بعض الشجر والنبات ليس على سبيل الاستقصاء والشمول . ولا هو عمل موجه لهذا الغرض فقط . فتلك مهمة ينهض بها أصحاب الاختصاص : لكنني - مع ذلك - وجدت في هذا التقديم بداية محببة وخطوة طيبة على طريق دراسة الشعر الجاهلي وتحقيقه . ورأيت أن بقاء كثير من النباتات على مسمياتها القديمة يمكن أن يكون مدخلاً لمعرفة الصورة في الشعر الجاهلي واستكشاف مكوناتها وخفاياها وطريقة صياغتها بقدر الإمكان .

إن مجرد بقاء هذه النباتات على مسمياتها القديمة يعد مؤشراً قوياً على استمرارية المعاني والصور التي تتعلق بهذه النباتات . والتي كان يعرض لذكرها الشعراء القدامى . ولن أبحث عن هذه الصور في ثنايا « الشعر النبطي » كوسيلة لإثبات الشعر القديم . لاسيما وأننا نسعى إلى أن يكون الاتجاه لدراسة التراث اتجاها شموليا على مستوى الوطن العربي كله . وليس إقليميا محليا . وهو ما يؤدي إليه بالضرورة التركيز غير الموجه على التراث الشعبي .

نعم . نحن نقرأ ونسمع مختارات نبطية قديمة رائعة . حقيقة بالعناية والحفظ . وتدوينها عمل رائد وجليل وفيها مجال خصب للدراسات الموضوعية الهادفة : لكننا لن نستطيع - ولو حرصنا - إقناع الأدباء العرب في مواطنهم بقبول شعرنا الشعبي وما يذخر به من صور ومعانٍ فطرية أصيلة - أقصد الشعر النبطي القديم - لذا كان علينا أن نبحث عن بديل علمي ومنطقي لا يعترض أحد منهم على منهجيته . أو الاقتناع به من حيث المبدأ : ولهؤلاء الأدباء والباحثين أن يصلوا تراثهم الشعبي بأي عصر من عصور الأدب العربي . سوف يجدون متسعاً للبحث ومجالاً رحبا للاكتشاف والإبداع والتأصيل .

فنحن هنا في نجد - مثلا - حينما نجد صورة من صور الشعر الجاهلي وهو المقياس الحقيقي للتأصيل نأخذ رسومانها من أغصان وروائح وأشكال وألوان وخصائص لنباتات معروفة لدينا تحمل المسميات القديمة نفسها . فإننا نستطيع أن نستأنس بهذه العلاقة . ونستدل بها على عراقة هذه الصورة وأصالة القصيدة . وبالتالي رجحان نسبتها إلى العصر الجاهلي .

وأريد هنا أن استبعد الصور المعروفة : كغصن البان . والنقا . والأراك . وطعم الحنظل . وبياض الأقحوان . وغيرها . تجنباً لاحتمال الوقوع في الشعر المنحول لشهرة النباتات المذكورة .

وكثيراً ما كان أهل نجد يشبهون قوام المرأة بغصن « ألِراعي » في دقته واستقامته ولدانته . ولابد أن هناك تشبيهات أخرى في النبات قديمة وحديثة يعرفها أهل الاطلاع والخبرة .

ولا يضيرنا أن تكون هذه النباتات « النجدية » أو بعضها معروفة اليوم بأسمائها المذكورة في اليمن والحجاز وشرقي الجزيرة العربية والعراق والشام - كمواطن عربية قديمة - فإن الاشتراك في

التسمية قد يعيننا على استقراء الشعر الجاهلي نفسه وتحديد مواطن الشعراء ، وأماكن نظمهم للقصائد وتوثيقها .

ومثل الثبات في الاسترشاد على معرفة الصورة وتحقيق وتوثيق الشعر الجاهلي : الطبيعة بمظاهرها المختلفة من جبال ، ورمال ، وأودية ، وشعاب ، ورياض ، وأماكن مختلفة أخرى وسائر الطيور ، والحيوان : من إبل وخيل وصيد ، وكذلك حياة الناس وطباعهم ، ولاتزال في الرجل والمرأة سمات وأخلاق حسنة باقية حتى اليوم ، كان يذكرها الجاهليون في شعرهم كثيراً .

ومن وجهة نظر تاريخية واجتماعية ، فإن قراءة فاحصة في ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني الغطفاني تعطينا نصوراً تاريخياً طيبا عن قبائل « بنى رشيد » . وهذا مثال .

لكن كيف يمكننا تمييز الصورة من خلال الطبيعة على ضوء ما أشرت إليه ؟ وما العوامل المساعدة على فهم هذه الصورة إلى جانب إمكان معرفة المعالم الجغرافية والإلمام بها ؟ فهل نجعل لشعراء اليمامة ومكة واليمن صورة لأن الأعشى كان يتردد على مكة ونجران ؟ ونجعل لأهل المدينة والشام صورة لأن النابغة الذبياني كان يتردد على المدينة وحسان بن ثابت كان يتردد على الغساسنة في الشام ؟ ونجعل لأهل نجد والعراق وشرقي الجزيرة العربية صورة : لأن طرفة والمتلمس والمنقب العبدي وغيرهم وأكثر شعراء تميم وطيئ وبكر وتغلب كانوا يترددون على الحيرة في العراق ؟

ولما كان الشعر الجاهلي مزدهراً في نجد والعراق وشرقي الجزيرة العربية ، فإن الذي أرجحه وأميل إليه أنه كان لشعراء شمالي نجد والعراق وشرقي الجزيرة العربية صورة مغايرة لصور الشعراء في اليمامة وجنوبي نجد بوجه عام ولو في بعض الجوانب .

وإذاً فالتراث - الشعر الجاهلي - تراث ضخم وقد يكون حقيقيا في أكثره ينبغي علينا مراجعته مراجعة جادة ومدروسة فلا نجزم حياله بموقف معين - سواء بالشك أو اليقين - ويقودونا الاستعانة على معرفته بجزئيات البيئة والواقع أو - على الأقل - تجريب الاستعانة بهذه الجزئيات . وهو أدب رفيع ، يمكننا أن نرقى به إلى مصاف الآداب الإنسانية الأخرى ، فلا يكفي أن ننعته بأنه أدب أو شعر غنائي ذاتي ، ونتوقف عند هذا الوصف لا نتعداه ؛ فقد تحدث الشعراء الجاهليون عن الوفاء ، والأمانة ، والصدق ، والصداقة ، والبؤس ، والشقاء ، والبخل والسخاء ، والصبر والفقر ، وتحدثوا عن الجمال في الإنسان ، والحيوان ، والطبيعة ، ولهم سبق قديم في مجال الرفق بالحيوان وكذا الحديث عن الجباع والمساكين ، والبائسين ، وتصوير أحيانهم وأحوالهم ، ومعاناتهم .

كل هذا وذاك ، مما قد يعده القارئ نضالاً مبالغاً فيه : إلا أنه يجعلنا أمام تراث ضخم ، أدب جم فيه متسع للدراسة وللعطاء بروح العصر ، وهو يحتاج من الباحث إلى صبر وأناة ، إنعام نظر ، وتقبل للعقبات والأخطاء .

وأرى أن الاستعانة على هذه الدراسة بالواقع الجغرافى ، والاجتماعى ، والتاريخى ، ضرورة علمية وموضوعية تقتضيها أصول الدراسات الأدبية الحديثة ، وذلك للوصول إلى أفضل النتائج المرجوة على طريق تأصيل التراث وتوثيقه .

وبالله التوفيق .



المصادر مرتبة حسب ورودها فى البحث :

- كتاب « النبات » لأبى سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعى تحقيق - عبدالله يوسف الغنيم طبع لندن ١٩٥٣
- كتاب « النبات » تأليف أبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى طبع ليدن ١٩٥٢
- ديوان بشر بن أبى خازم الأسدى تحقيق الدكتور عزت حسن نشر وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٢
- ديوان الأعشى ميمون بن قيس دار صادر (بدون تاريخ)
- ديوان امرؤ القيس بن حجر الكندى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر ط ٣ - ١٩٦٩
- ديوان زهير بن أبى سلمى دار صادر (بدون تاريخ)
- ديوان أوس بن حجر تحقيق د محمد يوسف نجم دار صادر ١٩٦٧
- ديوان لبيد بن أبى ربيعة العامرى دار صادر ١٩٦٦ .
- ديوان عبيد بن الأبرص دار صادر ١٩٦٤ .
- ديوان المثقب العبدى تحقيق حسن كامل الصيرفى نشر معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٧١
- ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى تحقيق صلاح الدين الهادى دار المعارف بمصر .
- ديوان عمرو بن قميئة تحقيق على ابراهيم العطية . دار الحرية بغداد ١٩٧٢
- ديوان علقمة الفحل تحقيق لطفى الصقال ودرية الخطيب . دار الكتاب . حلب ١٩٦٩
- ديوان حسان بن ثابت تحقيق د . سيد حنفى حسنين الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤
- شعراء بنى تميم فى العصر الجاهلى . د عبدالحميد المعينى نشر النادى الأدبى ببريدة ١٩٨٢
- شعراء النابغة الذبيانى تحقيق الطاهر بن عاشور . الشركة الوطنية للتوزيع والنشر . الجزائر ١٩٧٩

